التمهيد

(لمحات عن فلسطين موقعاً وتاريخاً وأحداثاً)

(١)

موقعها، حدودها، مناخها، مساحتها وسكانها

فلسطين[١]، التي يعرفها الناس في هذا العصر بحدودها الأخيرة في عهد الانتداب البريطاني (١٩١٨ ـ ١٩٤٨م) تقع في الغرب من قارة آسية بين خطي العرض ٣٠° ٢٩ ′و١٥° ٣٣ شمالاً، وبين خطي طول ١٥° ٣٤ ′و٤٠° ٣٥ شرقي غرينتش.

يحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله نحو ٢٣٠ كيلومتراً، ومن الشرق سورية ـ ويبلغ طول الحدود بين القطرين ٧٠ كيلومتراً ـ والأردن على حدود طولها نحو ٣٦٠ كيلومتراً، ومن الشمال لبنان ـ على حدود طولها ٧٩ كيلومتراً ـ وسورية، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة و«رفح» على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠ كيلومتراً. ويبلغ طول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلومترات ونصف الكيلومتر.

---

(١) فلسطين بالكسر ثم بالفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الرابع، مادة الفاء واللام وما يليها ص ٢٧٤، طبعة دار صادر ـ دار بيروت، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

إنّ حدود فلسطين كما هي عليه في وقتنا الحاضر قد وضعت في ظل الانتداب البريطاني، فتمّ ترسيم الحدود بين فلسطين من جهة. ولبنان وسورية من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني المنعقد في ٢٣/١٢/ ١٩٢٠، ثم عدّلت هذه الحدود في عام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣م فأضيفت إلى فلسطين بعض الأراضي السورية القريبة من نهري بانياس والحاصباني، وكذلك بعض القرى اللبنانية القريبة من نهر الليطاني، وكان أهم ما أخذ من لبنان هو منطقة الحولة.

أمّا الحدود مع شرقي الأردن فقد حددها المندوب السامي البريطاني في ١/٩/ ١٩٢٢. وكانت الحدود بين فلسطين ومصر قد حدّدت بموجب الاتفاقية المعقودة بين الحكومة العثمانية وخديوية مصر في أول أكتوبر ـ تشرين الأول ـ ١٩٠٦[١].

تبلغ مساحة فلسطين حوالى ٢٧٠٠٩ كيلومترات مربّعة. وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب٤٣٠كلم، وأما عرصها فيراوح بين ٥١ و٧٠ كلم، وفي الوسط يراوح العرض بين ٧٢ و ٩٥كلم: بينما يتسع في الجنوب حتى يصل إلى نحو ١١٧كلم.

إن موقع فلسطين بمثابة جسر يربط بين قارتي آسية وافريقية، وعلى ساحل البحر المتوسط غرباً، وخليج العقبة جنوباً، ثم قارة أوروبة غرباً، قد أكسبها أهمية عظمى باعتبارها حلقة اتصال وتجارة بين البلدان العربية ذاتها، ثمّ بين هذه البلدان من جهة، وبين سائر بلدان العالم من جهة أخرى.

وهي مهد الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية، وملتقى الحضارات، مشهورة بخيراتها الوفيرة، ومناخها اللطيف، وقد أضحت بذلك

---

(١) الدباغ ـ مصطفى: بلادنا فلسطين، الجزء الأول، القسم الأول، ص١٧، ١٩، ٢٠. دار الطليعة، بيروت، طبعة أولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

كلّه من أهم بقاع الأرض قاطبة، ولا سيّما من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية[1].

مناخ فلسطين هو مناخ منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذلك نباتاتها مثل نباتات المنطقة ذاتها: فمناخها معتدل لطيف صيفاً في السهول الساحلية، وخاصة في المرتفعات الجبلية، أما منطقة الغور فهي شديدة الحرارة صيفاً دافئة شتاء، وشتاؤها معتدل أيضاً، ما عدا المناطق الجبلية فهي باردة، وأمطارها وافرة ما عدا القسم الصحراوي الجنوبي.

وهكذا فإن موقعها الجغرافي وأهميتها الدينية والمناخية والزراعية قد استهوت الفاتحين، وداعبت خيال الطامعين قديماً وحديثاً، ولا سيّما من أجل السيطرة على أماكنها الدينية المهمة وموقعها الاستراتيجي العربي، وخطوط الاتصال بين مختلف بلدان العالم.

وفي المجال الاقتصادي كانت فلسطين تصدِّر الأملاح المعدنية والبوتاس، كما كانت أيضاً مخرج بعض المنتجات العراقية كالقطن والبترول منذ أوائل القرن العشرين، فضلاً عن وفرة الأيدي العاملة فيها ورخصها، مع اختفاء منافسين للمشروعات الاستغلالية الاستعمارية الصهيونية. وقد مهّد ذلك للأجنبي سبيل الاستيلاء على أراض عربية، وعلى موارد الانتاج في البلاد، وأما الطبقة الكادحة فكان يسودها الفقر والجهل والبؤس[2].

كان معظم سكان فلسطين عرباً طوال القرون الماضية، ولم يتغيّر ذلك إلا بعد منتصف القرن العشرين، بسبب عوامل الهجرة اليهودية إلى هذا البلد، التي ازدادت بعد نكبة عام ١٩٤٨م.

---

(١) خمار ـ قسطنطين: موسوعة فلسطين الجغرافية، ص ١٩٢ ـ ١٩٤. بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٩م.

(٢) يحيى ـ جلال: مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية، ص ١٢ ـ ١٣. منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٥م.

ونعرض فيما يلي جدولاً بعدد سكان فلسطين بين عامي ١٩١٤ و١٩٧٠م.

الرقم	السنة	عدد السكان	يهود	عرب	مسلمون	مسيحيون	مذاهب أخرى	النسبة المئوية للعرب بين السكان	ملاحظات
١	١٨٨٠		٢٣٠٠٠[١]						
٢	١٩١٤	٦٨٩٢٧٥	٦٠٠٠٠	٦٢٩٢٧٥				٩٢	حسب تقدير العثمانيين للسكان[٢]
٣	١٩٢٢	٧٥٧١٨٢	٨٣٧٩٤		٥٩٠٨٩٠	٧٣٠٢٤	٩٤٧٤	٨٩	حسب إحصاء السلطات البريطانية[٣]
٤	١٩٣١	١٠٣٥٨٢١	١٧٤٦١٠		٧٥٩٧١٢	٩١٣٩٨	١٠١٠١	٨٣	حسب احصاء السلطات البريطانية[٤]
٥	٣١/١٢/ ١٩٤٦	١٨٨٧٢١٤	٥٨٣٣٢٧		١٤٣٣٣٦ ١	١٤٥٠٦٣		٦٩	حسب تقدير السلطات البريطانية[٥]
٦	أيار ١٩٤٨	١٩٤٨٠٠٠	٦٢٩٠٠٠	١٣١٩٠٠٠				٦٨	حسب تقدير عام[٦]
٧	٨/١١/ ١٩٤٨	٨٣٤٣١٧	٧١٦٦٧٨	١١٧٦٣٩				١٤,١	حسب تقدير سلطات «إسرائيل»[٧]
٨	١٩٦٠	٢١٥٠٣٥٨	١٩١١١٨٩	٢٣٩١٦٩				١١,١	حسب تقدير سلطات «إسرائيل»[٨]

(١) سعد ـ الياس: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، ص ١٨ بيروت ١٩٦٩، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية.

(٢) المعهد العربي للتدريب والبحوث الاحصائية: الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني، ص ٣٨ بيروت ط ١ (١٩٨٥ م) دار النضال...

والشريف ـ ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي الاجتماعي، ص ٨٥ ـ ٨٩ دار ابن خلدون، بيروت، ط ١ (١٩٨٥م).

(٣) المصدران السابقان.

(٤) الشريف ـ ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي الاجتماعي، ص ٨٥ ـ ٨٩ دار ابن خلدون، بيروت، ط ١ (١٩٨٥م).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) السوافيري ـ كامل: الشعر العربي في مأساة فلسطين، ص ٣٢ مطابع سجل العرب، القاهرة، ص ٢ (١٩٨٥م).

(٧) جريس ـ صبري: العرب في إسرائيل، ص ١٤. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ط ٢ (١٩٧٣م).

(٨) المصدر نفسه.

تابع جدول عدد سكان فلسطين بين عامي ١٩١٤ و١٩٧٠م.

الرقم	السنة	عدد السكان	يهود	عرب	مسلمون	مسيحيون	مذاهب أخرى	السنة المئوية للعرب بين السكان	ملاحظات
٩	١٩٦٧	٢٧٧٣٨٩٢	٢٣٨٣٥٥٤	٣٢٤٥٢٨				١٢,٨	حسب تقدير سلطات «إسرائيل»[١]
١٠	١٩٦٨	٢٨٤١٠٨٥	٢٤٣٤٨٣٢	٣٣٧١٨٠				١٢,١	حسب تقدير سلطات «إسرائيل»[٢]
١١	١٩٧٠	٣٠٠١٤٠٠	٢٥٦١٤٠٠	٣٦٦٦٥٦				١٢,٥	حسب تقدير سلطات «إسرائيل»[٣]

يبدو في الجدول السابق أن عدد سكان فلسطين بعد نكبة عام ١٩٤٨م يقتصر على سكان الأرض المحتلة «اسرائيل»، فهو لا يشمل سكان الضفة الغربية وقطاع غزة.

ويتبيّن من هذا الجدول أن عدد اليهود لم يتجاوز ٣٢٪ من مجموع عدد سكان فلسطين في ١٥/ أيار/ ١٩٤٨م، وأنَّ العرب الباقين في الأرض المحتلة لا يزالون يحافظون حتى الآن على نسبتهم بين السكان والتي تراوح بين ١١ ـ ١٣٪ من المجموع العام للسكان. وقد استطاع السكان العرب المحافظة على نسبتهم هذه، رغم تزايد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، بسبب النسبة العالية من التكاثر الطبيعي، التي يقال إنها أعلى نسب التكاثر في العالم، إذ بلغت ٣٧,٨ في الألف بين العرب، مقابل ٢٦,٣ في الألف بين اليهود سنة ١٩٥٥م، كذلك فإن نسبة الهجرة بين العرب إلى خارج «إسرائيل» قليلة[٤].

---

(١) صبري جريس: العرب في اسرائيل، ص ١٤ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤ .

ويعيش السكان العرب في الأرض المحتلّة في ثلاث مناطق رئيسية، أولاها الجليل في الشمال، حيث تعيش أكثريتهم (نحو ٦٠٪)، وثانيها منطقة المثلث في الوسط حيث يعيش نحو ٣٠٪ منهم، أما بقية السكان العرب، نحو ١٠٪، فتسكن في الجنوب، في منطقة النقب.

وقد بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين إلى البلدان العربية بسبب نكبة عام ١٩٤٨ حوالى ٠٠٠ ٩٠٠ شخص[١]، وقدّر عددهم في عام ١٩٦٧م بأكثر من مليون ونصف المليون نسمة.

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧م أصبحت فلسطين بكاملها تحت الاحتلال الاسرائيلي، ونزح نتيجة لهذه الحرب أكثر من نصف مليون عربي، بينما بلغ عدد السكان العرب الموجودين في فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧م كما يلي: في الضفة الغربية (٧٥٠) ألف نسمة تقريباً، وفي قطاع غزّة (٤٥٠) ألف نسمة تقريباً[٢]، وإذا أضفنا إلى هؤلاء عدد السكان العرب في الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨م (٣٢٤٥٢٨) نسمة، يصبح عدد السكان الفلسطينيين العرب الذين كانوا يرزحون تحت الحكم الاسرائيلي عام ١٩٦٧م حوالى (١٥٢٤٥٢٨) نسمة، وأن عدد هؤلاء مضافاً إليه عدد اليهود هناك يقارب أربعة ملايين نسمة حسب إحصاءات عام ١٩٦٧م.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم هؤلاء اليهود الذين كانوا في فلسطين عام ١٩٤٨م هم من المهاجرين الذين دخلوا البلاد بالقوة، وبمساعدة حكومة الانتداب البريطانية، خلافاً لرغبات السكان الأصليين (العرب)، وعلى هذا فلا يمكن اعتبارهم كالسكان العرب موطنين فلسطينيين شرعيين، وبناء عليه فإن نسبة العرب إلى غيرهم هي أكثر مما هو مدوّن بكثير.

---

(١) ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي ـ الاجتماعي، ص ٩٠.

(٢) الأحمد ـ نجيب مصطفى: فلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ٦٩٤، دار الجيل للنشر، عمّان، طبعة أولى ١٩٨٥م.

أما عدد سكان المدن الرئيسية في فلسطين حسب المذكرة التي رفعتها غرفة تجارة مرسيلية إلى وزارة الخارجية الفرنسية في عام ١٩١٥م، فهو على الشكل التالي[١]:

القدس	يافا	حيفا	غزة	نابلس	صفد	عكا	الناصرة	بيت لحم	طبرية
٨٤٠٠٠	٥٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٥٠٠٠	١١٠٠٠	١٠٠٠٠	٧٠٠٠	٥٠٠٠

وقد ذكر إميل الخوري[٢] احصاءات لما كان يملكه اليهود من أراض قبيل حرب عام ١٩٤٨م، وكان ذلك يعادل ٦,٨٪ من جميع أراضي البلاد.

والجدول التالي يبيّن ملكية اليهود لاراض فلسطينية حتى يوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م:

المساحة بالدونم	إيضاحات
٦٥٠ ٠٠٠	أراض حصلوا عليها في ظل الحكم العثماني كانت مسجلة باسمهم عام ١٩١٨م
٥٠٠ ٠٠٠	الأراضي الأميرية التي منحتها سلطات الانتداب للوكالة اليهودية
٦٢٥ ٠٠٠	أراض باعها الإقطاعيون من بعض (اللبنانيين) و (السوريين) من غير أهل فلسطين
٤٠٠ ٠٠٠	أراضي منطقة مرج ابن عامر
١٦٥ ٠٠٠	أراضي امتياز بحيرة الحولة
٣٢ ٠٠٠	أراضي امتياز وادي الحوارث

(١) ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي ـ الاجتماعي، ص ٥٤ .

(٢) كتاب «١٥ أيار ١٩٤٨» ص ٥٨ ـ ٦٦ . دار النشر العربية، بيروت ١٩٥٩م.

تابع الجدول الذي يبيّن ملكية اليهود لأراضٍ فلسطينية حتى يوم ١٥/٥/ ١٩٤٨م:

المساحة بالدونم	ايضـاحات
٢٨ ٠٠٠	أراضي أقضية الناصرة وصفد وعكا وجنين وطولكرم
٣٠ ٠٠٠	أراض باعها عرب فلسطين
٢٧٠٠ ٠٠٠	المجموع العام

ويتضح من هذه الإحصائيات أن الفلسطينيين باعوا ـ وفي ظل ظروف قاهرة ـ أقل من ١٪ من مجموع مساحة البلاد البرية.

ويبيّن آخر إحصاء لليهود أنهم كانوا يملكون في نهاية الانتداب البريطاني ٧,١٥٪ من مجموع مساحة البلاد.

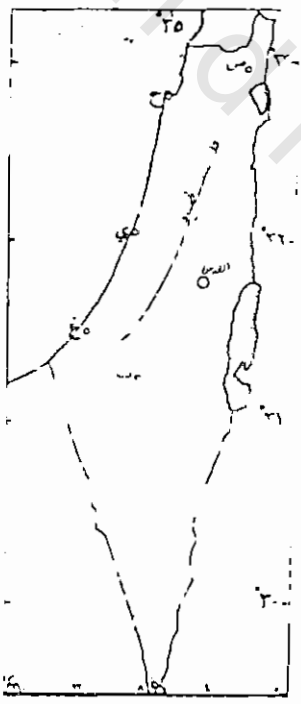

obeikandl.com

(٢) أقسامها الطبيعية والادارية

تنقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية إلى أربع مناطق:

١ ـ المنطقة السهلية: تشمل السهل الساحلي الممتد من رأس الناقورة إلى رفح. وأهم المدن والموانىء الواقعة فيها هي عكا وحيفا ويافا وغزة.

٢ ـ المنطقة الجبلية: وتمتد في وسط البلاد من الشمال إلى الجنوب، وتشغل ثلثي أرض فلسطين، وتضم جبال الجليل وجبل الزيتون (الطور) الذي يشرف على مدينة القدس، وجبال نابلس وجبال القدس.

وفي هذه المنطقة تقع معظم الأماكن المقدّسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود: القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ونابلس وصفد.

٣ ـ منطقة الغور: وتمتد بين بحيرة طبرية والبحر الميت في شرق فلسطين، وسمّيت بذلك لانخفاضها عن سطح البحر، حيث يبلغ هذا الانخفاض ٣٩٢ متراً عن سطح البحر، وهو أشد انخفاض أرضي في العالم كلّه، وتعتبر أريحا وبيسان من أشهر مدن الغور.

٤ ـ منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية: وتدعى النقب ومعناها الجنوب، وتضم مساحات شاسعة من الأراضي، وتبلغ مساحتها نصف مساحة فلسطين.

شكلها مثلث، وتعتبر بئر السبع المدينة الرئيسة في هذه المنطقة، ويسكنها البدو الرحل وغير الرحل.

يقول كامل السوافيري: «ولا يصلح من أرضها للزراعة إلا ثلث

مساحتها تقريباً، ويقدّر بحوالى ٧٨٦٠,٠٠٠ دونم[١]، وتعتمد البلاد في زراعتها على مياه الأمطار التي تهطل في فصل الشتاء، وعلى الزراعة يعيش معظم سكان البلاد»[٢].

وكانت فلسطين تقسّم في أواخر عهد الحكم البريطاني البائد إلى ست مناطق، يعرف كل منها باسم «لواء» أو «مقاطعة»، ويقسّم اللواء إلى أقسام أخرى يعرف كلّ منها باسم «قضاء»، ورئيس الأولى يدعى «حاكم اللواء»، ورئيس الثانية يسمّى «قائم مقام». ويشتمل كل قضاء على عدة قرى ينوب في كل منها عن القائم مقام أحد أهاليها ويدعى «المختار»، فالقرية هي أصغر وحدة إدارية.

وألوية فلسطين هي:

١ ـ لواء الجليل: وقاعدته الناصرة، ويتألف من أقضية عكا وبيسان وصفد وطبرية والناصرة.

٢ ـ لواء حيفا: ويضم قضاء حيفا.

٣ ـ لواء نابلس: وكان يعرف باسم (لواء السامرة)، ويتألف من أقضية نابلس وجنين وطولكرم.

٤ ـ لواء القدس: ويتألف من أقضية القدس والخليل ورام الله.

٥ ـ لواء يافا: وكان يعرف باسم (لواء اللد) ويضم قضاءي يافا والرملة.

٦ ـ لواء غزّة: ويضم قضاءي غزّة وبئر السبع[٣].

---

(١) الدونم يساوي ١٠٠٠ متر مربع، ويعادل (١/ ٤) ربع فدّان مصري، أو (١/ ١٠) عشر هكتار.

(٢) الشعر العربي في مأساة فلسطين، ص ٣٢.

(٣) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١، ق١، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣)

فلسطين في عهد الدولة العثمانية

امتدّ الحكم العثماني على بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ ومصر زهاء أربعة قرون (١٥١٦ ـ ١٩١٨م)، وكان الدين الإسلامي هو دين الدولة العثمانية التي جعلت اللغة التركية لغتها الرسمية. وعانت فلسطين إبّان هذا الحكم كما عانت سائر الولايات العربية من سوء الادارة العثمانية، والاستبداد والحكم الفردي المطلق[١]، فضلاً عن القسوة على الشعب بالضرائب الباهظة. وانعكس التخلف العام ـ الفكري والثقافي والصحي والزراعي والعمراني ـ على الحياة الاجتماعية، نظراً لاهمال هذه المجالات الحيوية، والاستهانة بحقّ الشعب في الحرية والاستقلال، والاستبداد به. وما الأحكام التي نفذها جمال باشا في عامي ١٩١٥ و١٩١٦ بالنفي والاعدام إلاّ خير دليل على ذلك. . . . فازداد القلق وتدهورت الحياة الاقتصادية شأن الحياة الثقافية والزراعية، وعمّت البطالة، وازداد الفقر والأمية، لا سيّما بين أبناء القرى الذين كانوا يؤلفون حوالى ٧٥٪ من السكان، وبرزت سيادة العنصر التركي والتحيّز له، وتفشت الرّشوة والفساد في جهاز الدولة، وعمّت الفوضى معظم

(١) البرغوتي ـ عمر صالح وطوطح ـ خليل: تاريخ فلسطين، أماكن متفرقة. مطبعة بيت المقدس ١٩٢٣م.

وطنوس ـ عزّت: الفلسطينيون: ماض مجيد ومستقبل باهر، ج١، ص٢٣.

مركز الأبحاث، بيروت، ط ١ (١٩٨٢م).

وأبو يصير ـ صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص ٣٠. دار الفتح، بيروت، ط ٤ (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

مجالات الدولة، وكثر الضيق واشتدّ التذمّر.

يقول كامل السوافيري: «وأهدر العثمانيون حرّية الصحافة وتكوين النقابات والجمعيات، وإنشاء الصحف وعقد الاجتماعات. وفتح المدارس والمعاهد، ولذلك لم يستطع أبناء فلسطين أن ينشئوا صحافة أو مدارس إلاّ بعد صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨»[١].

والواقع أن السلطان عبد الحميد (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) اضطر إلى إعادة الدستور للبلاد، بعد أن عطّله في عام ١٨٧٧م بحجة إعلان روسيا الحرب[٢]، وسمح بانشاء عدّة صحف ومجلات، أهمها ثلاث مجلاّت في القدس[٣]، وهي: الأصمعي لصاحبها حنّا العيسى، القدس لصاحبها جورج حنانيا، والنفائس العصرية لصاحبها خليل بيدس.

وممّا يلفت النظر إنشاء المدارس الأجنبية على نطاق واسع منذ القرن الماضي، ويعزى سبب ذلك إلى التسامح الديني الذي أظهرته الدولة العلية في أواخر حكمها مراعاة للدول الأجنبية في الحقوق المكتسبة والمصالح والامتيازات المهمة في القدس خاصة، والأراضي المقدسة عامّة، ولذلك تفوّق المسيحيون العرب على المسلمين بسبب الفرص التي منحت لهم وللطوائف الأجنبية، واتجه كثير من الشبّان المقتدرين مادياً إلى الدراسة في الخارج، وخاصة في استانبول وبيروت والقاهرة، وأسهم هؤلاء المثقفون العرب في النهضة القومية في فلسطين، ومدّ إخوانهم بجمال

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، ص ٣٨.

(٢) الحوت ـ بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ص ١٦. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

(٣) الأسد ـ ناصر الدين: الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص ٤٣ ـ ٤٦. معهد الدراسات العربية العالية. القاهرة ١٩٥٧م.

والعقاد ـ أحمد خليل: تاريخ الصحافة العربية في فلسطين، ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٥. عمّان، ط٢ (١٣٨٦هـ/١٩٦٧م).

الفكر العربي القومي[1].

وفي المقابل إذا فتشنا عن عمل أو موقف جميل للعثمانيين نجد أنّ التاريخ يثبت أن السلطان عبد الحميد ـ برغم تسلّطه وانفراده بالحكم ـ لم ينصع لإغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة به لتقديم عروض مساعدات لدولته من جهة، وانتزاع موافقته بالسماح لهم بأرض يسكنونها ـ مفضلين فلسطين ثم سيناء ـ لأنه كان يحرص على أرض الدولة وصيانتها من أيّ تمزيق يكون سابقة لما بعدها من جهة، ولأنه كان يخشى من اليهود وحركاتهم السرّية من جهة ثانية. وممّا جاء في ردّ السلطان عبد الحميد على زعيم الصهيونية الدكتور ثيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤)[2] قوله: «انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديّة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلّى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزّقت امبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حيّ فإنّ عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي، وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة»[3].

واستمر السلطان عبد الحميد في اصدار أوامره بمنع اليهود الزائرين

---

(١) بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ص ١٦.

(٢) ثيودور هرتزل هو يهودي مجري ولد في بودابست، ودرس القانون في فينا عاصمة النمسا، ثم رحل إلى باريس حيث عمل مراسلاً صحفياً، وهناك تأثر ببعض المؤلفات التي تحارب السامية، فألف كتابه «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٤م، وما لبث أن أصبح زعيم الحركة الصهيونية. (بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ٣٤ ـ ٣٥).

(٣)صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص ٣٠ ـ ٣١ نقلاً عن مذكرات هرتزل: محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، ص ١٧. وبيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ١٣.

لهذه البلاد من الإقامة الدائمة في فلسطين، ولكن فساد الادارة وتعاونها مع زعماء اليهود بالسماح لليهود القادمين إلى فلسطين كزوّار في البقاء فيها لعب دوراً في تسرّب هؤلاء إلى فلسطين بغية تنفيذ مخططاتهم المرسومة..

والواقع أن أحلام العرب قد انهارت عندما اكتشفوا أن رجال «جمعية الاتحاد والترقي»، بعد أن استولوا على الحكم مباشرة، قاموا بحملات واسعة لتتريك جميع الشعوب الخاضعة لهم. وراحوا يهتمون بالعنصر التركي دون غيره، حتى يئس العرب من الطريق البرلماني طريقاً للاصلاح والمساواة بالاتراك، وأخذوا يطالبون بالاستقلال الداخلي للولايات العربية، وتوّجت أحزابهم وجمعياتهم أعمالهم في هذا الدور بعقد مؤتمر وطني في باريس، وهو «مؤتمر باريس العربي» سنة ١٩١٣م.

واصطدمت الحركة الوطنية العربية بالسيطرة التركية ـ الألمانية، بعد أن فتك جمال باشا بزعماء الحركة العربية وأعدمهم...، فرفع العرب علم الثورة العربية للتخلص من هذه السيطرة التي عرقلت تطورهم، واستمروا في حركتهم حتى نهاية الحرب الكبرى[1].

نحن ننبذ كل استعمار، ولكن إذا قارنّا بين استعمارين، أحدهما يستبدّ ويفرض الضرائب ويكبت الحريات ولا يقوم باصلاحات تذكر، ولكنه يحافظ على ملكية فلسطين لاصحابها، والآخر ـ أعني بريطانيا ـ يحاول الاستفادة من أساليب العهد البائد فيتبع أساليب جديدة تخفي أهدافه الخبيثة، فيقف موقف الصيّاد المحتال، الذي يحتال لفريسته بتقديم الطعام ويستعمل أحسن الانغام واخبث الأساليب حتى يصطادها، فيسلبها الحياة والأرزاق كلها، فاستطاع ـ بدهائه ومكره ـ أن يسلب الأرض من شعب فلسطين، ويقتل الكثيرين، ويساهم في تشريد مئات الآلاف، نجد أن العثمانيين كانوا أقلّ شرّاً من البريطانيين وحلفائهم...

(١) للتفصيل انظر سلسلة موضوعات بعنوان: «الحركة العربية الوطنية» قلم نجاتي صدقي في «الطليعة»، في السنتين الثالثة والرابعة.

(٤)

فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

الثورة العربية وموقف بريطانية من العرب

لأسباب عديدة نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) بين الحلفاء من جهة، والدولة العثمانية والمانيا واليابان من جهة ثانية، ونتيجة لعوامل مختلفة ـ أشرنا الى بعضها ـ وفي مقدمتها توق العرب الى تحرير بلادهم واستقلالها جرت مراسلات عديدة بين الشريف حسين بن علي ـ شريف مكة ـ والسر هنري مكماهون ـ نائب ملك بريطانية ـ تمّ الاتفاق بينهما على أن يقوم العرب بثورة على تركيا لطردها، على ان يساعدهم الحلفاء في ذلك، وبمقدمتهم بريطانية، بالعتاد والقوة العسكرية، لقاء هدف معلن هو اضعاف نفوذ الدولة العثمانية وتخليص العرب من الظلم، وهدف خفيّ هو احتلال بلاد العرب واستغلال ثرواتهم. وهكذا ثار العرب على الاتراك في ١٠ حزيران ١٩١٦ م، ونجحوا في طردهم من بلادهم، واشترك الانكليز بقيادة اللنبي مع العرب في السيطرة على القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧م[١]، ومن ثم سائر اجزاء فلسطين في الثلث الاخير من أيلول سنة

(١)بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ٥٢، ٥٤، ٥٧. ومصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١، ق١، ص٢٨. وناصر الدين الأسد: الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص ٩ ـ ١٠. وياسين ـ عبد القادر: كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨م، ص ٣٤. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١. وأنطونيوس ـ جورج: يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القـــومية، ص ٢٥١ ـ ٣٤٦. دار العلـــم للملايين، بيروت، ط ٧=

١٩١٨م[١]، ومع نهاية هذا العام كان قد تمّ طرد الأتراك من بلاد الشام والعراق وحلّت محلهم القوات الفرنسية والبريطانية. وبعدئذ راح ينكشف زيف الوعود البريطانية للعرب ـ منها تحقيق استقلال بلاد العرب ـ وخداعهم لهم، بغية تثبيت اقدامهم في بلادنا، التي طالما طمعوا بها لاستثمار خيراتها الكثيرة، وجعلها سوقاً لتصريف منتوجاتهم وصناعاتهم والاستفادة من موقعها في قلب الوطن العربي، ولأنها مركز اتصال بين الشرق والغرب، فاتفقت بريطانية وفرنسة على تقطيع أوصال لبلاد العربية وتقسيمها بين الدولتين، حيث اجتمع المفاوض الانكليزي مارك سايكس، والمفاوض الفرنسي جورج بيكو، ووضعا بتاريخ ٢٦/أيار/١٩١٦م ما سمّي باتفاقية سايكس ـ بيكو الخاصة بتقسيم بلادنا واستعمارها[٢]، على ان يبقوا للشريف حسين امارة في شبه الجزيرة العربية[٣].

ويرى ناصر الدين الاسد أن الدولتين المستعمرتين كانتا تهدفان الى تحقيق غرضين اساسيين من وراء هذا لتقسيم:

= (١٩٨٢م). ودروزة ـ محمد عزّة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ١، ص٥ ـ ٢٠. منشورات المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت، ط ٢ (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م). والغوري ـ إميل: فلسطين عبر ستين عاماً، ص ٢٨. دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٢م.

(١) الكيالي ـ عبد الرحمن: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص ٢٨. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٥م. وعبد القادر ياسين: كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨م، ص٣٤.

(٢) صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص٥٤ ـ ٥٨. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٧٧. وعبد القادر ياسين: كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨م، ص ٣٤. ورشيد ـ هارون هاشم: مدينة وشاعر: حيفا والبحيري هامش ص ٣٤٦. دمشق، ط ١ (١٩٧٥م). وحجازي ـ عرفات: فلسطين أرض الثورات، ص ٢٠ ـ ٢٣، عمّان، ط ١ (؟١٩٦م). ومحمد عزّة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج١، ص١٦.

(٣) سليمان ـ سهيل: كمال ناصر: الشاعر والأديب والسياسي، ص ٣٠ ـ ٣١. دار الأصالة، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

الأول: خلق مجتمعات متغايرة متخالفة في كل قطر، وبذلك تتفكك العرى وتضعف الاواصر بين هذه الاقطار على مرّ الزمن فيتجزأ نضالها، وتصبح أضعف من ان تصمد ـ وهي مقسمة ـ في وجه الاستعمار.

الثاني: فصل فلسطين عن سائر اقطار الوطن العربي تمهيداً لخدمة الصهيونيين باقامة دولة لهم في هذا البلد، بعد عزله عن الجسم العربي، وشغل كل مجتمع بقضاياه المتشعّبة[1].

وبذلك استطاعت هاتان الدولتان السيطرة على الشرق العربي وتفتيته، انسجاماً مع سياسة «فرّق تَسُدْ»[2]، وبذلك تحققت الاطماع الصليبية والصهيونية دفعة واحدة، ووضعت عراقيل في طريق الوحدة العربية والتعاون العربي.

ويشير محمد محمد حسين الى أن الخطر الحقيقي يكمن في ايمان العرب بهذه التقسيمات الوهمية التي أوجدها الاستعمار الجديد[3] من خلال اتفاقية سايكس ـ بيكو وغيرها، وأن العمل المنفرد والمتعارض مع مصلحة الاقطار المجاورة هو تنفيذ ـ بأسلوب مباشر او غير مباشر ـ لاهداف الاستعمار في ايجاد الانقسامات والضعف في بلدان هذه المنطقة، واستبعاد التعاون والوحدة بينها، مع انها سبل التقدم والقوة والنصر، لأنها تهدّد مصالح الاستعمار، والعكس صحيح...

---

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص١١.

(٢) إميل الغوري: فلسطين عبر ستين عاماً، ص ٢١٢ ـ ٢٢٧. وصالح مسعود أبو يصبر: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٧.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج ٢، ص ١٣٠. القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

الأطماع الصهيونية ووعد بلفور

إن أساس الحركة الصهيونية[١] فكرة يهودية دينية سياسية، تهدف الى الاستيلاء على فلسطين، وجمع اليهود من أصقاع العالم وتوطينهم فيها، ومن ثمّ إعادة تشييد «هيكل سليمان» مكان المسجد الاقصى المبارك في القدس، وتوسيع دولتهم حتى تمتد «من الفرات إلى النيل»[٢].

لقد وضعت فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرة في شهر آب سنة ١٨٩٧م[٣]، وتمّ يومئذ انشاء «المنظمة الصهيونية العالمية» التي سارت جنباً إلى جنب مع الحركة الاستعمارية، ولم تكن دعوة هرتزل إلى اتخاذ فلسطين وطناً قومياً وليد إيمان عميق بالاصرار على فلسطين..، وهو القائل في كتابه «دولة اليهود»: «جمعية اليهود هي التي ستختار فيما بعد إذا كانت هذه الرقعة ستكون فلسطين أو الارجنتين»[٤]، وعندما عرض البريطاني تشمبرلين «أوغندة» وطناً قومياً لليهود، لقي عرضه ترحيباً لدى هرتزل ممّا جعل إحدى عضوات المؤتمر الصهيوني تتهم هرتزل بالخيانة لتخلّيه عن فلسطين[٥]، فاندفع قاصداً السلطان عبد الحميد كما أسلفنا من قبل.. ولمّا يئس من نيل موافقة الدولة العثمانية على تحقيق أحلامهم بانشاء وطن قومي لليهود، ولّى

---

(١) وينسب هذا الاسم إلى جبل صهيون أو الزيتون، وهو أحد جبال القدس. خمار ـ قسطنطين: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ٢٢ و٢٦ وما بعدهما. المكتب التجاري، بيروت، ط ٢ (١٩٦٦م).

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥ ـ ٣٦. الصياد ـ محمد محمود وآخرون: المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٨ ـ ٣٠.

(٤) توما ـ إميل: جذور القضية الفلسطينية، ص ٥١. مركز الأبحاث، بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٣م.

(٥) عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص٣٣.

وجهه شطر الدول الغربية، وخاصة بريطانية، فتمكن من كسب عطفها وموافقتها على احتضان الصهيونية، واستمرت الحركة الصهيونية في الاتصالات مع الحكومة البريطانية، وبعد مفاوضات ومداولات عديدة بين جميع قادة الرأي في بريطانية وأميركا تمّ الاتفاق على نصّ بشأن تحقيق الأماني الصهيونية، وعندئذ بعث اللورد آرثر جيمس بلفور ـ وزير خارجية بريطانية في ذلك الوقت ـ برسالة إلى اللورد وولتر روتشيلد[1]، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م، تتضمن التصريح الذي عرف فيما بعد بتصريح بلفور، وهذه هي ترجمته:

عزيزي اللورد روتشيلد:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغيّر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتّع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتّع به اليهود في البلدان الأخرى»[2].

وبدا واضحاً أن لبريطانية أهدافاً عديدة تدفعها إلى إعطاء هذا الوعد

---

(١) اللورد روتشيلد زعيم بريطاني صهيوني ثري معروف، كان قد دفع أربعة ملايين جنيه إلى رئيس وزراء بريطانية ليدفعها الأخير بدوره للخديوي إسماعيل بمصر بدل امتلاك الإنكليز لقناة السويس. وكان روتشيلد يبغي كسب تأييد بريطانية الأدبي للصهيونيين بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. (انظر كتاب الأشتر ـ صالح: في شعر النكبة، ص ١٢. دمشق، طبعة أولى ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

(٢) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٣٧ . ومحمد محمود الصيّاد وآخرون: المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، ص ٣١١ . وبيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ٧٤. ومحمد عزّة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ١، ص ٢٨. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٨٣ ـ ٨٤.

تحت ستار الشفقة على اليهود والعطف عليهم ومساعدتهم. وذلك بمنحهم مكافأة على دعمهم للحلفاء في الحرب العالمية الأولى، ولكسب تأييدهم المستمر، والتخلّص من المتاعب التي يسبّبونها أو يثيرونها، وإبعاد فلسطين ومن ثمّ قناة السويس عن متناول الفرنسيين، وفصل الأقطار العربية في آسيا عن الأقطار العربية في إفريقية، بغية تمزيق أوصالها، وإضعاف تعاونها، واستبعاد وحدتها، فتصبح مصدراً لوارداتهم وسوقاً لصادراتهم ـ أعني الحلفاء ـ وتبقى قاعدة لهم تأتمر بأمرهم على الشاطىء الشرقي من البحر المتوسط بين الشرق والغرب.

وخلاصة القول إن من لا يملك ـ وهي بريطانية ـ أعطى من لا يستحق ممتلكات العرب، وأجاز سلفاً ما حلّ بهم لاحقاً من قتل وتشريد...

الثورات الفلسطينية والأحداث المتتابعة

وما إن أفاق العرب الفلسطينيون على المؤامرة عليهم من خلال تصريح بلفور وغيره، مثل تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، حتى أصابهم الفزع والقلق، وانفجرت غضبتهم بالرفض والاحتجاج تارة والثورت تارة أخرى، وتصدروا مسيرة النضال ضد الصهاينة وأعوانهم الانكليز دون هوادة، وشعروا أن من حقهم محاربة هذه المشاريع العدائية بكل وسيلة ممكنة. ولكن السلطات البريطانية جاهدت لمدّة من الزمن كي تخفف مخاوف العرب، وتمنع نشوب الثورة، مستعينة على ذلك بالمكر والخديعة، وبرقابة صارمة ودعاية خبيثة نشيطة، وبذلت قصارى جهدها لاخفاء نواياها كأنما كانت تحسّ بوخز الضمير من جرائها[1].

ثمّ أصدرت عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين في ٢٤/ ٧/

(١) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٣٧٥. ومحمد عزّة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ١، ص ٢٣ ـ ٢٨.

١٩٢٢م، وقد أدخل فيه وعد بلفور بكل تناقضاته وعدم شرعيته مع الميثاق، دون التأكد من أنه يناقض ميثاق عصبة الأمم، ذلك لأن بريطانية وفرنسة الحليفتين كانتا تهيمنان على عصبة الأمم[١].

ومنذ وعد بلفور راح اليهود يجمعون الأموال بغية شراء أراضٍ عربية بأي ثمن، وراحت الوكالة اليهودية ترعاهم وتحمي مصالحهم، فتشتري الأرض، وتبني المستعمرات، وتفوز بامتياز البحر الميت وثرواته، وتبني لليهود ميناءً خاصاً قرب تل أبيب لتنمية تجارتهم واقتصادهم. حصل هذا بينما كان زعماء العرب منقسمين على أنفسهم شيعاً وأحزاباً تتناحر وتتعادى وتستنزف قواها، وتلهو عن واجباتها الأساسية، أما اليهود فتابعوا تحصين مستعمراتهم واستعدادهم للمعركة المقبلة، واستقدام المهاجرين من كل حدب وصوب، فيدربونهم ويزدادون بهم قوّة وتنظيماً[٢]، ونفوذاً في الداخل والخارج.

وهكذا أصبح تنفيذ القرارات شرعياً، وأخذت أعداد اليهود تتدفّق على البلاد، بينما كان يجري اسكانها وتدريبها وتوظيفها، ومن ثم تسليحها على قدم وساق. وبدا التناقض واضحاً بين هذا العمل الذي كانت بريطانية تساعد كثيراً على إنجازه، وبين تعهدها بعدم المساس بالحقوق المدنية والدينية للأغلبية، وهم العرب. وعلى سبيل المثال عندما تولّى هربرت صموئيل، أول مندوب سام بريطاني على فلسطين ـ وكان صهيونياً ـ مسؤولياته في ١/ ٧/ ١٩٢٠م، شرع في سن القوانين المختلفة لصالح اليهود...

ونظراً لعدم احترام إرادة الشعب الفلسطيني وحقوقه نظّمت العرائض

---

(١) عزّت طنّوس: الفلسطينيون: ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، ج ١، ص ٩٣. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٣٤٢ ـ ٣٥٢.

(٢) صالح الأشتر: في شعر النكبة: بحث تخطيطي في أصداء نكبة فلسطين في الشعر العربي، ص ١٤ ـ ١٦.

والاحتجاجات والاستنكارات ضدّ الاحتلال وسياسة التهويد، واستمرار تجاهل الحكومة البريطانية لمطالب العرب، وتماديها في تنفيذ المخطط الصهيوني، وما لبثت أن نشبت ثورات متتالية واضطرابات دامية، كان أولها ثورة ١٩٢٠، التي نشبت في القدس بمناسبة موسم النبي موسى، وبسبب وعد بلفور، واستشهد فيها نفر من العرب، وجرح عدد آخر، كما سقط الكثيرون من اليهود بين قتيل وجريح.

وتألفت إثر ذلك جمعيات عربية فلسطينية، كانت تهدف إلى الوقوف ضدّ تحقيق وعد بلفور المشؤوم. وبعد تدفق أعداد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين وقعت الثورة الثانية عام ١٩٢١م، في مدينة يافا أولاً، ثمّ امتدت إلى المستعمرات اليهودية، وأدّت إلى مقتل وجرح الكثيرين من الطرفين معظمهم من اليهود.

ولم تهدأ الاضطرابات بعد ذلك، فوقعت اضطرابات في يافا عام ١٩٢٤م أثناء احتفال اليهود بعيد «المسفر»، وتهكمهم على الشعائر العربية.

واضطربت البلاد اضطراباً شاملاً عندما زار اللورد بلفور القدس عام ١٩٢٥م لافتتاح الجامعة العبرية، بعد أن انتزعت بريطانية أرضها من العرب بالقوة، وتظاهرت دمشق في وجهه أيضاً، فخرج مخفوراً إلى ميناء بيروت، وركب الباخرة وعاد مباشرة إلى بلاده[١].

وبشكل عام عاشت فلسطين سبع سنوات عجاف من (١٩٢٢ ـ ١٩٢٩)[٢]، وذلك لأن حركة الجماهير الفلسطينية ظلت حبيسة راكدة، ولأسباب عديدة، وعندما تحدّى اليهود العرب المسلمين في ٢٣/٩/ ١٩٢٩م، وأتوا إلى حائط المبكى ليثبتوا ملكيتهم له، زاعمين أنه هيكل

---

(١)قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ٦٢.

(٢)عبد القادر ياسين: كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨م، ص ٦٧ ـ ٧١. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٨٨ ـ ٢١٠.

سليمان، هاجمهم المناضلون العرب وقتلوا عدداً منهم، لأن هذا الحائط هو حائط البراق[١]، ويشكّل القسم الغربي من الحرم الشريف[٢]، ثمّ امتدت الاشتباكات إلى أهم مدن فلسطين، فسقط عندئذ عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين، وسجن عدد آخر، ونفّذ حكم الاعدام شنقاً في ثلاثة من الأبطال في سجن عكا يوم الثلاثاء الجاري في ١٧ حزيران ١٩٣٠م، وهم فؤاد حجازي من صفد، وعطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل، فاستقبلوا الموت بشجاعة، بل إنهم تزاحموا إلى المشنقة، وهتفوا بحياة أمتهم وبلادهم[٣]، وأصبح هؤلاء الشبّان مضرب الأمثال في البطولة والتضحية في سبيل إزاحة كابوس الاحتلال عن الوطن.

واتضح أن الأسباب المباشرة للاضطرابات العديدة كانت في جوهرها تتلخص في الهجرة اليهودية، والخطر الصهيوني المتزايد، وانحياز بريطانية لصالح اليهود وغموض مستقبل العرب. ومن جهة ثانية كان يشعر أعداء الإسلام بخطورة هذا الدين عليهم وعلى مصالحهم في مستعمراتهم فيكيدون

---

(١) عندما أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى القدس، قبل أن يعرج به من فوق الصخرة المشرّفة إلى السماوات العلى ربطت الدابة التي أقلته والمسمّاة «البراق» بهذا الحائط في القدس، فسمّي الحائط باسمها: «حائط البراق»، بينما يعتبره اليهود الحائط المتبقي من هيكل سليمان، فيزوره بعضهم ويبكون هناك، ولذلك يسمونه حائط المبكى. (انظر كتاب محمد عزة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ١، ص ٦١ ـ ٦٢. وعبد القادر ياسين: كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨م، ص ٩١).

(٢) محمد عزّة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ١، ص ٧٧. وعبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٩٨ وما بعدها. وعرفات حجازي: فلسطين أرض الثورات، ص ٤٣ ـ ٤٥. وعزّت طنّوس: الفلسطينيون: ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، ج ١، ص ١٣٠ وما بعدها. وجرار ـ وليد صادق: شاعران من جبل النار (إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود) ص ٣٥. شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمّان، ط ١ (١٩٨٥م).

(٣) كامل صالح السوافيري: الشعر العربي في مأساة فلسطين، ص ١٣٤ وما بعدها.

له بكل الوسائل آملين القضاء عليه وتفتيت العالم الإسلامي[1].

تبع ذلك نشوب ثورة عام ١٩٣٣م، حيث بدأت بمظاهرة شعبية في القدس، واشتباك دموي في مدينة يافا، ثم تحوَّلت إلى ثورة كبرى في أرجاء فلسطين كافة.

وفي هذه الفترة ازدادت هجرة اليهود إلى فلسطين، وجهدوا في شحن الأسلحة والذخائر التي اكتشف بعضها ذات مرّة مهرباً في خلايا النحل وبراميل الزفت، هذا عدا الأسلحة التي كانت تقدمها بريطانية لهم، حتى تحوّل موقفهم إلى موقف هجومي، ولا يغرب عن بالنا أنهم كانوا يفرضون على أنفسهم رسوماً للتبرّع...

وتوالت الأحداث وأدّت إلى نشوب الثورة الكبرى التي امتدت ما بين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م، حيث تصدرتها عدة أحداث بعد ازدياد عدد المهاجرين اليهود وتشجيع بريطانية لانتقال الأراضي الى اليهود وتسليحهم، فتكتلت الأحزاب الفلسطينية وتألفت لجنة دعيت «اللجنة العربية العليا» برئاسة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السيد محمد أمين الحسيني، ثمّ قرروا جميعاً إضراباً شاملاً دام ستة أشهر، وبعد أن فشلت محاولات الحكومة البريطانية بانهاء الاضراب وجّه ملوك العرب ورؤساؤهم نداء إلى عرب فلسطين ـ بناء على رغبة بريطانية ـ يطلبون منهم فيه وقف القتال وانهاء الاضراب والاخلاد للسكينة، فاستجابوا للنداء وانتهى الاضراب في ١١/ ١٠/ ١٩٣٦م[2]. وقد توقف الاضراب نتيجة لعدم وجود قيادة سياسية واعية وموحدة، ولكن الثورة

---

(١)حسين ـ محمد محمد: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج ٢، ص ١٥٣ وما بعدها. القاهرة، ط ٢ (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٢)ياسين ـ صبحي: الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م، ص٥٢ ـ ٥٣. القاهرة ١٩٦٧م. والخطيب ـ محمد نمر: أحداث النكبة، ص ١٦٥. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٧م. وطربين ـ أحمد: محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، ص ١٨٦. القاهرة ١٩٥٨م. ونجيب الأحمد: فلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ٢٤١ وما بعدها.

ما لبثت أن نشبت من جديد في عام ١٩٣٧، ذلك لأن بريطانية أرسلت إلى فلسطين لجنة ملكية للتحقيق في أسباب الثورة، فأوصت الأخيرة بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية، ودولة عربية، ومنطقة ثالثة تبقى تحت الحكم البريطاني، وتشمل القدس وبيت لحم، فرفض العرب هذا المشروع، وكرروا رفضه في مؤتمر الوفود الشعبية العربية الذي عقد في بلودان في ٨/ ٩/ ١٩٣٧[١].

ومن أجل عدم استفزاز العرب وخلق اضطرابات تزعج بريطانية إبّان انشغالها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) اتخذت بعض الإجراءات للتخفيف من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولكن ما ان انتهت الحرب في عام ١٩٤٥م، حتى عادت فكرة التقسيم إلى البروز، في الوقت الذي كانت أغلبية السكان العرب تنشد الاستقلال لفلسطين العربية، فالتهبت المشاعر من جديد، وعمّ السخط عندما أحسّ العرب بأن اليهود يسرعون الخُطَا نحو إنشاء دولة يهودية في فلسطين. ولقد قاوم الفلسطينيون الصهيونية والهجرة اليهودية ومشاريع التقسيم باستمرار، غير أن المؤامرات كانت أكبر من طاقتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها أن مرشحي الرئاسة الأميركية أخذوا يتسابقون في مناصرة اليهود، وتبنّي جميع مطالبهم السابقة[٢]، وفي هذه الظروف تألفت جامعة الدول العربية في ١٢/ ٣/ ١٩٤٥م[٣]، وأصبحت

---

(١) عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٦٠ ـ ٢٧٩. وقسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ٧٩ ـ ٨٧. ونجيب الأحمد: فلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ٢٤١ ـ ٢٦٨ . وزعيتر ـ أكرم: الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) ص ٣٤١ ـ ٣٤٣. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، (١٩٨٠م). ووليد صادق جرار: شاعران من جبل النار، ص ٣٨ وما بعدها.

(٢) قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ فلسطين، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٩. علي ـ وفلاح خالد: فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨)، ص ٢٥١ ـ ٢٥٥. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

قضية فلسطين تحتلّ المقام الأول من أعمال الجامعة، وخاصة حين لمست بوادر من بريطانية والولايات المتحدة بنقض الكتاب الأبيض، وكانت أهم قرارات الجامعة العربية تتركز على مقاطعة المنتجات والمصوعات اليهودية ووقف الهجرة. . .

وبتاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٧م قررت هيئة الأمم المتحدة إيفاد لجنة تحقيق من دول هيئة الأمم إلى فلسطين، فظهر تقريرها في أوائل أيلول متأثراً بالضغط الصهيوني، ويقضي بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام: دولة عربية، وثانية يهودية، ومنطقة ثالثة دولية تديرها الأمم المتحدة، ولكن العرب رفضوا هذا التقرير رفضاً تاماً، وهاجت البلاد العربية وماجت لمثل هذه الحلول[١]، لأنها كانت تبغي فلسطين موحدة ومستقلة، وترفض تجزئتها وإقامة دولة صهيونية في أي جزء من هذا البلد العربي الصميم.

وبالرغم من ذلك أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بتقسيم فلسطين، كما أوردته لجنة التحقيق مع بعض التعديلات وذلك في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م، بعد أن مارست الولايات المتحدة ضغطاً بغية نجاح هذا المشروع واقراره[٢].

وقبلت بريطانية هذا القرار، ووعدت بالسعي إلى تطبيقه، رغم أنه لم يكن دستورياً، لأنه يتعارض مع مبدإ حفظ حقوق جميع الشعوب في تقرير مصيرها، وبذلك تكون قد خرقت أهم مبادئها، كما أنّه لا يحق للأمم

(١) قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ١٠٧. وحشاد ـ عدلي: شعب فلسطين في طريق العودة، ص ٧٣ ـ ٧٧. القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) العارف ـ عارف: النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، ج١، ص ٢٤ ـ ٣٢. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٥٦م. وفلاح خالد علي: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٢. وقسطنطين خمّار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ١١٠. والكيالي ـ عبد الوهاب: الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٩٤. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧١م.

المتحدة أيضاً تقسيم فلسطين، ولكن من حقها إصدار توصية عند الضرورة.

ولذلك كلّه رفض العرب هذا القرار في حينه، باعتبار أنّ هؤلاء الذين يقرّرون ليسوا أصحاب الأرض، وإنما هم يقرّرون مصير أغلبية دون احترام رأيها وحقوقها ومصلحتها.

لمّا أحسّ الفلسطينيون بخطورة الموقف طلبوا من الأقطار العربية امدادهم بالنجدات والسلاح والذخائر، فسهّل هؤلاء مجيء المتطوعين، ورصدوا مساعدات مالية وعسكرية محدودة[1]، وألفت الهيئة العربية العليا كتائب «الجيش المقدّس» وبدأت الحرب، وكانت في بدايتها سجالاً، ثمّ تمكن اليهود من إحراز بعض التقدم بفضل تفوقهم في السلاح والدعم، وأخذت القوات البريطانية تضاعف مساعدة اليهود، فتمدّهم بالأسلحة الثقيلة، وتسلمهم المراكز التي تنسحب منها[2]، وما إن تمّ خروجها في ١٥/أيار/ ١٩٤٨م، حتى تابع اليهود عدوانهم واحتلوا معظم الأراضي الفلسطينية بفعل الفارق في التدريب والقوة العسكرية، وأعلنوا دولتهم التي أسموها «إسرائيل»، فاعترف ترومان، رئيس الولايات المتحدة بهذه الدولة بعد ربع ساعة من إعلانها، رغم أنها أنشئت على أرض عربية، ولم تعلن لها حدود ولا رعية[3].

ورغم دخول قوات رمزية من الجيوش العربية، وبعد أن وضعت خطة

---

(١) مجلة الثقافة العربية، بيروت، السنة الثانية، العدد الثاني، أيار ـ حزيران ١٩٥٨م، ص ٦٣ ـ ٦٤. وعبد الوهاب الكيالي: الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٩٤. وأبو حاقة ـ أحمد: الالتزام في الشعر العربي، ص ٢٩٧. دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (١٩٧٩م).

(٢) فلاح خالد علي: فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨م)، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥.

(٣) العقاد ـ عباس محمود: الصهيونية وقضية فلسطين، ص ٣٥٩. منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، د.ت.

للقتال[1]، وقاتلت قوات العدو في مواقع مختلفة، إلا أنها لم تستطع الحؤول دون تحقيق العدو لخطته الجهنمية باحتلال معظم أجزاء فلسطين، وتشريد أغلبية الشعب الفلسطيني إلى البلدان العربية المجاورة وما تبقى من فلسطين في أيدي العرب، وهو الذي يعرف الآن بالضفة الغربية وقطاع غزّة.

حصل هذا في الوقت الذي ترذذت فيه أخبار قيادات عربية متهاونة وأسلحة خفيفة وذخائر فاسدة لا تنال من العدو، وتواطؤ من «كلوب» رئيس أركان الجيش الأردني ـ وهو بريطاني ـ وكان يساعده ثمانية وأربعون ضابطاً بريطانياً يسيطرون على القيادة، ويحتفظون بالولاء لبريطانية، وقد اتّبعوا وسائل أدّت إلى تسليم عدة مواقع لليهود، أشهرها: اللّد، الرملة، القطمون والنقب الجنوبي، ويذكر أنّ «كلوب» قد أمر بإخلاء اللّد والرملة من المقاتلين بحجة الحاجة إليهم في مواقع أخرى، وليس هذا فحسب، بل إنّه جمع معظم المتطوعين الأردنيين وأعادهم إلى الضفة الشرقية ومنع الفلسطينيين المدنيين من حمل السلاح، وأمر عدداً من قطعات الجيش بالتزام مواقعها[2]، دون التصدّي لليهود، بحجج مصطنعة، مثل وجود هدنة يجب أن يتقيّد بها العرب.

بعد حلول النكبة عقد مؤتمر في أريحا بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١ تقرّر فيه أن يُضَمَّ إلى شرقي الأردن قسم من الأرض الفلسطينية كان قد بقي مع

---

(١) العارف ـ عارف: النكبة: نكبة بيت المقدس، ج ٢، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٣. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٩٥٦م. وفلاح خالد علي: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٢٧١ ـ ٢٧٦.

(٢) التل ـ عبد الله: كارثة فلسطين، ج١، الصفحات: ٢١، ٨١ ـ ٨٣، ١٥١، ١٩١، ٦٠١ ـ ٦٠٤. دار القلم، القاهرة، ط ١ (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م). وعلوش ـ ناجي: المسيرة إلى فلسطين، ص ٩ ـ ١٤. دار الطليعة، بيروت، ط ١ (١٩٦٤م).
وفلاح خالد علي: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٢٧١ ـ ٢٧٦. وعارف العارف: النكبة: نكبة بيت المقدس، ج٣، ص ٦٠٠ ـ ٦١٢.

العرب، وسمّي بـ «الضفة الغربية»، في حين وضع قطاع غزّة ـ وهو قسم آخر من الأرض الفلسطينية ـ تحت الإدارة المصرية[١].

وهكذا أرخت النكبة ظلالها على أرض فلسطين وشعبها، فقطعت الأرض، ومزّقت أوصال الشعب، وأصبح كل قسم منه داخل حدود رسمية مغلقة. . . ، وبدأ الشعب الفلسطيني ـ ما بقي منه في أرضه وما تشرد ـ يواجه مرحلة جديدة من آثار الكارثة على الصعد كافة.

وممّا يجدر ذكره أنه بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين أجبروا على مغادرة منازلهم أمام التهديد والوعيد عام ١٩٤٨م حوالى (٠٠٠ ٩٠٠) فلسطيني موزعين حسب الشكل التالي: في الأردن (الضفة الغربية والضفة الشرقية) (٤٦٥,٧٤١)، وفي قطاع غزّة (٢٠٠,١٤٣)، وفي لبنان (١٠٦,٨٩٦) وفي سورية (٨٣,١٨٧). وبقي من عرب فلسطين تحت حكم «إسرائيل» مائة وثمانون ألفاً[٢]، كان يقيم معظمهم في قرى الجليل، عانوا كثيراً من قسوة القيود، وصنوف الاضطهاد، والتضييق، والتآمر لطردهم[٣]، في حين تعرّض الذين تشتتوا أيضاً إلى ظروف الاغتراب السياسية والاجتماعية والنفسية القاسية، فصبروا على الجراح وقسوة المعاناة، وبقي إيمانهم بالعودة قوياً، وبعد أن تأكدوا أن جميع الأساليب والمساعي الدبلوماسية لم تجدهم نفعاً

(١) مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، كانون الأول ١٩٧٤م، العدد ٤٠، ص ٥٦ ـ ٨٣. وعزّت طنّوس: الفلسطينيون: ماض مجيد ومستقبل باهر، ج ١، ص ٢٥٤ وما بعدها. وبيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ٥٧٩و٦١٤ وما بعدها. وقسطنطين خمّار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ١١١ ـ ١٢٧. وفلاح خالد علي: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٢٣٩ ـ ٢٧٦. ومحمد عزّة دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج ٢، ص ٢١٣ ـ ٢١٤، ثم ص ٢٣٧.

(٢) قورة ـ نزيه: تعليم الفلسطينيين (الواقع والمشكلات) ص ١٩. مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٧٥م.

(٣) مجلة الثقافة العربية، بيروت، السنة الثانية، العدد الثاني، أيار ـ حزيران ١٩٥٨م، ص ١٢٣ ـ ١٢٦.

ازدادت حماستهم للنضال، وتمنوا أن يكونوا مثل رأس حربة لقوات عربية مسلحة تسارع أو تنهض إلى تحرير فلسطين.

ورفض الشعب الفلسطيني جميع محاولات التسوية والتوطين، وأصرّ على انتزاع حقه في العودة وتقرير المصير، ولم يرض بديلاً عن فلسطين، ولم يرضخ للضغوط المختلفة، ولا سيّما السياسية والاقتصادية التي اعتقد البعض أنها ستحطّ من عزيمته، وتبعث فيه اليأس. وفشلت جميع محاولات تصفية حقوقه في وطنه، بل إنّ نقمة هذا الشعب على أعدائه الظاهرين والمتسترين قد تضاعفت، واستمرّ يؤكد إيمانه القويّ بحقّه، ويعلن أن ما أخذ منه بالقوّة لن يستردّ إلاّ بالقوة.

أحداث متتابعة ثم مأساة عام ١٩٦٧م

توالت الأحداث في هذه المنطقة بعد نكبة عام ١٩٤٨م: ابتداء من ثورة عام ١٩٥٢م في مصر، ثم العدوان الثلاثي ـ من قبل بريطانية وفرنسا و«إسرائيل» ـ على مصر وقطاع غزة في عام ١٩٥٦م، إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة في شباط عام ١٩٥٨م باتحاد مصر وسورية في دولة واحدة، كما نالت بعض البلدان العربية استقلالها، وظهر الكيان الفلسطيني بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، وما لبث أن تلاها قيام بعض المنظمات الفدائية.

وفي الوقت الذي كان العرب عامة والفلسطينيون خاصة ينتظرون تحرير فلسطين، لا سيّما وأن «إسرائيل» أفشلت جميع المساعي السلمية التي بذلتها هيئة الأمم المتحدة لحل قضية الشعب الفلسطيني، حلّت مأساة جديدة في حزيران عام ١٩٦٧م، عندما بادرت القوات الاسرائيلية إلى شنّ عدوان عسكري جديد على مصر وسورية والضفة الغربية وقطاع غزّة، أدّى إلى احتلال بقية أجزاء فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزّة) ومنطقة سيناء

المصرية، وهضبة الجولان السورية، وهذا ما ينسجم مع المطامع الصهيونية في التوسع، جرى هذا بدعم من حلفائها، وبمقدمتها الولايات المتحدة الأميركية وبريطانية[1].

نزح مرة أخرى عدد من المواطنين العرب من أرضهم، إلا أن نسبة النزوح كانت ضئيلة، إذا ما قيست بسنة ١٩٤٨، رغم تكبّد الخسائر المختلفة، ووسائل التهديد والتضييق بغية تهجيرهم.. ومرة أخرى لم تقم دول أوروبة وأميركا بعمل منتج يمنع تهجير الفلسطينيين من وطنهم، ولم تحاول إعادة المهجرين إلى وطنهم، ولم تفعل شيئاً يتعدى التصريحات، وهي كذرّ الرماد في العيون، وأشبه برفع العتب والتمويه على البسطاء.

وممّا يجدر ذكره أنه لا يرجى أمل ممّن يحقدون على العرب في أن يمنعوا هذا النزوح أو يعيدوا النازحين، لا سيّما وأنهم عملوا على إقامة هذه الدولة... والتي يقتضي قيامها تهجير أهلها العرب، وراحوا يفتحون مع هذه الدويلة جسوراً جوية لمدها بالأسلحة خلال الحروب التي جرت بينها وبين بعض الدول العربية، وليس هذا فحسب، فإن بريطانية وفرنسا شاركتا «إسرائيل» في حرب عام ١٩٥٦م ضدّ مصر وغزّة، وعقدت الولايات المتحدة مع هذه الدولة اتفاقية تحالف استراتيجي، وتستخدم كل من بريطانية وفرنسة والولايات المتحدة الأميركية ما يسمّى بحق النقض «الفيتو» لرفض إقرار أي مشروع في مجلس الأمن الدولي يمكن أن يدين «إسرائيل» مهما بلغ عدوانها

---

(١) محمد محمود الصياد وآخرون: المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، ص ٣٩٢ ـ ٤١٣. وقسطنطين خمّار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ١٢٧ ـ ١٣٥. وصالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٤٤٨ ـ ٥٤٩. والحوت ـ شفيق: بين التّيه والدولة، ص ٢٣ ـ ٤٣ ـ ٦٢ ـ ٦٥ وغيرها. بيروت، ط ١ (١٩٧٧م).
ونجيب الأحمد: فلسطين تاريخاً ونضالاً، ص ٦٤٠، ٦٥١، ٦٥٩، ٦٦٧ ـ ٦٨٩.

وإجرامها وآثامها[1].

كانت هذه الكارثة ـ الثانية ـ عميقة الأثر على كل صعيد، وبرزت «إسرائيل» دولة توسعية، وقاعدة متقدمة للاستعمار في قلب الوطن العربي بغية تدعيم السيطرة الأجنبية في المنطقة، واستغلال ثرواته ومواردة، واستنزافه بوسائل خبيثة ومستمرة.

وبذلك اتضح للرأي العام العالمي بشكل عام، والعرب بشكل خاص، أنّ «إسرائيل» لا تشكل خطراً على فلسطين وحدها، بل على الوطن العربي كلّه، وأن قضية فلسطين أصبحت من قضايا الصراع بين الشرق والغرب، ممّا يجعلها مطروحة على نطاق عالمي في التماس الحلول، وبات جلياً أن النجاح في تحرير الأرض العربية المحتلة يتوقف على جهود العرب قبل غيرهم[2]، ذلك لأنّ «إسرائيل» كيان استعماري توسعي[3] بارز في تكوينه وسلوكه وسياسته وعلاقاته، وأن الصهيونيين قد خططوا لجمع يهود العالم في هذه الأرض، وانتزاع ما أمكن من أرض العرب، وإقامة المستوطنات باستمرار، وها هم يفضلون كسب الأرض على «الفوز بالسلام»، ولن يتراجعوا إلا باستخدام قوّة عربية رادعة تفرض العدل، وتحقُّ الحقَّ وتزيل دولة العدوان.

وهذا يحتاج إلى مشاركة فعّالة من قبل جيوش الدول العربية آخذاً بعين الاعتبار قول بعض القائلين بأن خير ما يهزم الجيوش النظامية جيوش نظامية مزودة بالأسلحة الثقيلة المتطورة[4]، مقدّراً أكبر تقدير الكفاح المسلّح

(١) العقاد ـ عباس محمود: الصهيونية وقضية فلسطين، ص ٣٦٢. منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، د.ت.

(٢) قدورة ـ زاهية: تاريخ العرب الحديث ص ٢٢٨. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٣) الرشيدات ـ شفيق: فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً، ص ٣٦٩. بيروت ط ١ (١٩٦١م) دار النشر المتحد...

(٤) ملحق الأنوار الأسبوعي، بيروت، العدد ٢٩٣٥، الأحد ١٩٦٨/١٢/٢٩م. ص ٣ ـ ٤ العمل الفدائي وقضاياه الأولى، بقلم ناجي علوش.

وتضحيات الثوّار الفلسطينيين الذين حملوا راية النضال وقاتلوا العدو في أقسى الظروف، وأحيوا الأمل في قلوب الجماهير العربية، وخير دليل على ذلك الانتصار العظيم الذي حققوه في معركة الكرامة التي جرت في ٢١/ ٣/ ١٩٦٨م يوم كبدوا القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد[١]، وهلّلت الجماهير فَرِحَةً معتزة بالنصر، وتعزّزت إرادة الأمة بالنضال، وازداد إيمانها بحتمية النصر، وردّدت أن جولة الحق منتصرة لا محالة ومستمرة حتى قيام الساعة.

وبعد، فقد كان هذا التمهيد كافياً لبيان تطورات الأحداث في فلسطين خلال فترة البحث وقبلها، لا سيّما من الوجهة التاريخية، التي يرتكز عليها دور الأدباء الفلسطينيين عامة، والشعراء منهم خاصة، إذ إنهم بها يتأثرون، ومعها يتفاعلون، كما ترتكز عليها فصول البحث جميعها.

وبعد هذا التوضيح فإنني ارتأيت وضع كل مقال في مكانه المناسب، وعلى هذا فسأعرض للحياة الثقافية في فلسطين في مطلع الباب الأول الخاص بشعر المقاومة الفلسطينية في أثناء البحث، وللحياة الاجتماعية في مطلع بحث الاتجاهات الاجتماعية، وللحياة الدينية في مطلع بحث الاتجاهات الدينية، وهكذا، دواليك، فيكون ذلك مدعاة إلى الائتلاف والتناسق.

---

(١) صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٨. وملحق الأنوار الأسبوعي، بيروت، الأحد ٢٢/ ٣/ ١٩٧٠ العدد ٣٣٧٣، ص ٣.